نظرة تحليلية لسلوك "هيئة تحرير الشام - هتش" في 2023
ومحاولة استقرائه في 2024

تقرير صادر عن وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري

26 رجب 1445 هـ - 7 شباط/ فبراير 2024 م

مقدمة:

مرّ العام 2023 بالعديد من الأحداث التي شهدت تطوّرات في ملف "هيئة تحرير الشام-هتش" شمال غربي سوريا، سواء من ناحية اعترافها العلنيّ بحصول اختراقات في صفوفها وما شنته على إثرها من اعتقالات طالت قياديين كباراً في التنظيم بتهم "التجسُّس"، فضلاً عن مساعي "هتش" القيام بأدوارٍ مشبوهة في مناطق سيطرة الجيش الوطني السوري بريف حلب.

كما شهد العام الماضي مظاهرات متكررة في مناطق متفرقة من شمال غربي سوريا ندّدت بسلوك "هتش" واستمرارها بالتضييق على المدنيين، وذلك بعد ما حاولت فرضه من تكريس سيطرتها الأمنية وتكميم أفواه المنتقدين لها.

يُحاول هذا التقرير رصد أبرز المتغيّرات التي طرأت في سلوك "هتش" في العام 2023 وأثرها على تماسُك التنظيم من الناحية التنظيمية والعسكرية، وصولاً لاستعراض حالة الموقف الشعبي من "هتش" ومستقبلها في المنطقة.

مظاهرات غاضبة ضد "هتش" رداً على الاعتقالات والتضييق.. واستمرار سياسة كمّ الأفواه:

شهدت العديد من مناطق إدلب وريف حلب الغربي خلال العام 2023 مظاهرات تُندّد بـ"هتش" وقائدها أبو محمد الجولاني لأسباب مختلفة تتمحور حول التضييق ومحاولة قمع أيّ صوت معارض لها في المنطقة، ومما كان لافتاً أن بعض التظاهرات خرجت أكثر من مرة خلال الشهر الواحد، ما يمكن اعتباره أحد مؤشرات زيادة النقمة الشعبية من التنظيم وممارساته بحق سكان المنطقة.

تنوّعت أسباب الاعتقالات التي شنتها "هتش" في مناطق نفوذها بإدلب وريف حلب الغربي، فكان مما لوحظ بشكل أساسي محاولة إسكاتها الأصوات الإعلامية المنتقدة لها بالمنطقة، ما أدى لاعتقال عددٍ من الناشطين الإعلاميين، الأمر الذي فجَّر عدداً من المظاهرات ضد "هتش" احتجاجاً على تقييد الحريات والحدّ من حركة الإعلاميين والصحفيين الذين

ينقلون صورة الأوضاع في المنطقة[1]، ليردّد المتظاهرون شعارات مشابهة لشعارات الثورة السورية المنددة بقمع أجهزة أمن نظام الأسد[2].

وبحسب مصادر حقوقية، فإن عمليات الاحتجاز التي تقوم بها "هتش" ضد نشطاء إعلاميين وسياسيين -على خلفية التعبير عن آرائهم التي تنتقد سياستها- تتمّ بطريقة تعسّفية على شكل مداهمات واقتحام وتكسير أبواب المنازل وخلعها، أو عمليات خطف من الطرقات أو عبر نقاط التفتيش المؤقتة[3]، فضلاً عن اعتقالها ناشطين بتهمة تصوير المظاهرات المناهضة لها[4]، وتطويق عناصرها الأمنيّين بعض المساجد في ريف إدلب لمنع خروج التظاهرات المناوئة لها[5]، في أساليب مشابهة في بعضها إلى حدٍ ما مع أساليب قوات نظام الأسد ومليشيا "قوات سوريا الديمقراطية-قسد" في اعتقال المدنيين بشكل تعسّفي.

بالإضافة للناشطين الإعلاميين، اعتقلت "هتش" أيضاً وجهاء معارضين لسياستها، ما أدى لحالة احتقان في المنطقة وخروج مظاهرات منددّة بذلك، فضلاً عن صدور بيانات استنكار لهيئات وتجمّعات محليّة تعتبر أنّ الاعتقالات تتم دون مراعاة لحرمة المنازل أو التزام بمبادئ أو قوانين[6].

سياسة القمع التي تنتهجها "هتش" في بعض المناطق والخشية من الاعتقالات دفعت ببعض السكان إلى اللجوء لأساليبهم في مقارعة نظام الأسد، للتعبير عن الغضب من "هتش" وممارساتها وتوسيع الحراك ضدها، وذلك من خلال كتابة الشعارات على الجدران تنديداً بـ"هتش" وقائدها الجولاني بشكلٍ خاص، حيث تضمّنت بعض العبارات على جدران إدلب اتهامه بـ"العَمَالة" لإيران ونظام الأسد[7]، الأمر الذي دفع "هتش" إلى مزيدٍ من الإجراءات المُشدّدة ببعض المناطق وإلزام المحلات التجارية التي تبيع مواد الدهان والبخاخات بتركيب كاميرات مراقبة لتتبُّع من يشتريها[8].

ومما يزيد من غضب الشارع ضد "هتش" أن الأهالي يرونها تنشغل بالقمع والتضييق الأمني في الوقت الذي تزيد فيه الضرائب عليهم عبر ذراعها المدني "حكومة الإنقاذ" رغم الأوضاع المعيشية الصعبة التي تشهدها المنطقة[9]، وفي وقتٍ أيضاً تُحاول فيه "هتش" تحسين صورتها الخارجية على حساب صورتها أمام حاضنتها، وخصوصاً من خلال التزامها باتفاقية

[1] تواصل المظاهرات ضد الجولاني.. 15 نقطة احتجاجية تعمّ الشمال السوري (فيديو)، أورينت، 10 / 7 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[2] تنوعت الشعارات التي يهتف بها المتظاهرون ضد "هتش" رداً على سياسة الاعتقالات، فمثلاً سجلت شعارات من قبيل "جولاني إرحل عنّا"، "إنت ما بتمثلنا".

[3] توثيق ما لا يقل عن 197 حالة اعتقال/ احتجاز تعسفي في تموز بينهم 11 طفلا و3 سيدات، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 2 / 8 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[4] "الجولاني عدو الثورة".. المظاهرات المناهضة للهيئة تعم الشمال السوري، آرام ميديا، 12 / 5 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[5] على نهج النظام .. أمنية "تحرير الشام" تُطوق المساجد وتعتقل المصلين عقب صلاة الجمعة بإدلب، شبكة شام، 9 / 6 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[6] إدلب.. اعتصام في مدينة سرمدا للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين من سجون "تحرير الشام"، حلب اليوم، 27 / 6 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[7] يسقط الجولاني تغزو جدران مناطق جديدة في إدلب (صور)، أورينت، 27 / 3 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[8] بمشهد يُعيدك لـ 2011.. "البخاخ المجهول" يُرهق أمنية "الجولاني" والأخير يتخذ إجراءات مشددة، شبكة شام، 2 / 6 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[9] رغم الأوضاع الصعبة.. "حكومة الإنقاذ" تفرض ضريبة جديدة على الأهالي في إدلب، حلب اليوم، 1 / 8 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

وقف إطلاق النار الموقّعة بين تركيا وروسيا في آذار عام 2020، سوى بعض الهجمات المتبادلة بينها وبين قوات نظام الأسد، والتي لا ترقى بطبيعة الحال إلى المواجهة المفتوحة.

ومع ذلك لا يمكن اعتبار المظاهرات تلك وحدها المؤشرَ الأساسي على النقمة الشعبية من "هتش"، فمن المعروف أن حجم القبضة الأمنية والتشديد والملاحقات بحق الناشطين تجعل الناس في مناطق إدلب وريف حلب الغربي يتخوّفون من الخروج بمظاهرات، وقد ظهر أحد مؤشرات هذا في أوقات سابقة بعد ارتفاع أسعار الكهرباء شمال سوريا، حيث تفجّر الغضب الشعبي في مناطق سيطرة الجيش الوطني السوري، بينما لم يحصل شيء من هذا القبيل بمناطق "هتش"[10]، ومثل هذا الأمر ينطبق على قطاع المحروقات التي تبيعها "هتش" بأسعار أعلى من مناطق الجيش الوطني السوري وفق ما سيأتي بالمحاور التالية، دون أن يُشكّل ذلك دافعاً للناس لتنظيم تظاهرات غاضبة ضد "هتش" خشية من الاعتقالات والتغييب القسري، فضلاً عن الرقابة على منظمات المجتمع المدني وتقييد أنشطتها والتدخُّل في خصوصيتها[11].

ويجدر بالذكر أن جزءاً من المظاهرات التي خرجت ضد "هتش" طوال العام 2023 كانت لعوائل وأنصار كوادر من "حزب التحرير" الذي ينشط ضمن مناطق نفوذها[12]، واعتقلت عدداً من عناصره[13]، ضمن مساعيها لتحجيمه على غرار العديد من التنظيمات المتطرفة[14] التي أظهرت انتقادات أو عداءً لسياسة "هتش" ودورها في إدارة منطقة إدلب وطريقة تعاطيها

[10] قراءة في أزمة رفع أسعار الكهرباء في مناطق الشمال السوري، تحليل للعلاقة بين الحاضنة الشعبية وهيئات الحكم القائمة، مركز الحوار السوري، 18 / 1 / 2022

[11] الضمانات القانونية الدولية للمنظمات غير الحكومية ومدى تطبيقها في الحالة السورية، مركز الحوار السوري، 17 / 11 / 2021

[12] حزب "التحرير" ليس حديث التأسيس، تعود جذوره إلى خمسينيات القرن المنصرم في مدينة القدس، يعتبر أحد التنظيمات المتشددة ويدعو لعودة الخلافة الإسلامية، في حين ينشط الفرع السوري منه ضمن مناطق بريف إدلب وحلب ولا يملك وزناً على الأرض، لكنه اكتسب الواجهة الإعلامية عقب حملة اعتقالات من قبل "هتش" لعدة أشخاص في هذا الحزب يعارضون التفاهمات التركية الروسية الخاصة بالشمال الغربي من سوريا، وبحسب باحثين فإن عدد أعضاء الحزب في مناطق شمال سوريا لا يتجاوز الـ200 شخص، يتوزعون بين منطقة كللي شمال إدلب، وبلدتي الأتارب والسحارة في ريف حلب الغربي، ينظر:

"التحرير" حزب متشدد في شمال سورية بلا تأثير سياسي، العربي الجديد، 30 / 8 / 2020، شوهد في: 6 / 2 / 2024

وينظر أيضاً:

حزب التحرير الإسلامي، الجزيرة نت، 12 / 2 / 2014، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[13] حملة اعتقالات واسعة لـ"تحرير الشام" تستهدف قيادات "حزب التحرير"، تلفزيون سوريا، 7 / 5 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[14] منها ما تسمى "غرفة عمليات فاثبتوا" التي تشكلت من عدة "كتائب جهادية" صغيرة وشخصيات منشقة عن "هتش"، ثم صدر بيان لـ"هتش" أشار إلى أن من أراد القيام بأي عمل عسكري بإمكانه الانضمام لغرفة عمليات "الفتح المبين" التي أنشأتها في وقت سابق، ينظر:
سورية: "تحرير الشام" تنهي غرفة عمليات "فاثبتوا"، العربي الجديد، 27 / 6 / 2020، شوهد في: 6 / 2 / 2024

الجديدة مع الفواعل الإقليمية والدولية[15]، في ظلّ تلوّن الجولاني وإظهاره سياسات متناقضة[16]، بينما لم يكن لتلك التظاهرات تأثير حقيقي في الضغط على "هتش" للإفراج عن أعضاء الحزب[17].

ويرى بعض المراقبين أن "هتش" تركت "حزب التحرير" دون غيره إلى هذا الوقت لكونه خصماً ضعيفاً لا يُشكّل تأثيراً حقيقياً على وجودها بعكس بعض التنظيمات الأخرى التي كانت تملك السلاح والمقاتلين[18]، وبالرغم من تلك الرؤية إلا أن هناك رواياتٍ عن مقتل عناصر من "هتش" بعمليات لـ"حزب التحرير" في إدلب[19]، الأمر الذي ألّب "هتش" فيما يبدو بشكل أكبر على الحزب ودفعها لمواصلة الضغط عليه عبر عمليات الاعتقال، خصوصاً مع ما أظهره من محاولة تأليب الشارع العام على سياستها إزاء الاتفاقات التركية الروسية بشأن شمال غربي سوريا[20].

أدوار مشبوهة واستثمار أزمات في مناطق الجيش الوطني في محاولة للتمدد بريف حلب:

مع تحقيق جبهة إدلب استقراراً نسبياً من حيث توقّف العمليات العسكرية مع قوات نظام الأسد بعد توقيع اتفاق موسكو بين الرئيسين الروسي والتركي في آذار مارس 2020[21]، بدأت "هتش" تتطلّع إلى سياسة التمدّد باتجاه مناطق سيطرة الجيش الوطني السوري بريف حلب.

---

[15] على سبيل المثال يُظهر حزب التحرير عداوة للجانب التركي ويدعو إلى الخروج بمظاهرات ضده في مناطق شمال غربي سوريا مستغلاً حالة الرفض الشعبي التي جرت في الأشهر الماضية لإعلان تركيا سعيها تطبيع العلاقات مع نظام الأسد، الأمر الذي وجدته "هتش" فرصة من ناحيتين؛ الأولى: تفكيك الحزب باعتباره جزءاً من التنظيمات المعادية لها في المنطقة، والثاني: إيصال رسائل للطرف التركي بأنه يمكن الاعتماد عليها في إنهاء أي فصيل يعارض سياسات تركيا بخصوص سوريا.

[16] اشتهر الجولاني في السنوات الأولى لإعلان ظهور جبهة النصرة بـ "تكفير" الجيش التركي وكثرة الحديث بخطابات مليئة بـ"العبارات الجهادية" مشابهة لخطابات تنظيمي القاعدة وداعش، لكنه خلال السنوات الأخيرة بدأ بالتنازل تدريجياً عن ذلك الإرث وصولاً لمحاولة إلصاق نفسه بأنه جزء لا يتجزأ من الثورة السورية دون تقديم أي اعتذار عن تفكيك عشرات الفصائل العسكرية وطردها من مناطق عديدة شمال غربي سوريا، الأمر الذي كان في صالح نظام الأسد والمليشيات المساندة له بعدما سيطرت بشكل سريع على المناطق التي خرجت منها تلك الفصائل وتأكيد مصادر محلية انسحابات سريعة لـ"هتش" دون مقاومة كبيرة، ينظر:

المقال التحليلي "الجولاني، من رحم "داعش" إلى "قائد ثوري شعبي"؟"، مركز الحوار السوري، 12 / 8 / 2020

[17] المظاهرات الشعبية تتواصل ضد "تحرير الشام" في منطقة إدلب، زمان الوصل، 22 / 5 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[18] يمكن القول إن "حزب التحرير" ورغم أنه لا يمتلك قاعدة شعبية ذات وزن، ولا أي تأثير في مناطق شمال غرب سوريا، ورغم أنه موجود في تلك المناطق منذ سنوات، إلا أن "هتش" أمعنت في ملاحقة أفراده واعتقالهم أو حتى تصفيتهم، وذلك لعدة غايات أبرزها:

• إرسال رسائل إلى المجتمع الدولي بأن الجولاني يواصل ملاحقة "جماعات راديكالية" تهتف لـ "الخلافة الإسلامية" وغير راضية عن اتفاقات وقف إطلاق النار.

• تنفيذ ما يمكن تسميته "ضربات استباقية" خوفاً من تمدد القاعدة الشعبية للحزب في حال الصمت عن ممارساته والأفكار التي يروّج لها.

• تعرّض عناصر ودوريات تابعة لـ "هتش" لإطلاق نار من أفراد ينتمون للحزب، ما يشير إلى إمكانية تحول الحزّب من التظاهر والانتقاد إلى شنّ هجمات مسلحة ضد "هتش".

[19] مقتل عنصر من "تحرير الشام" بعد حملة اعتقالات شمال إدلب، زمان الوصل، 8 / 5 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[20] بالقوة هذه المرّة.. لماذا تسعى "تحرير الشام" إلى إنهاء "حزب التحرير"؟، تلفزيون سوريا، 9 / 5 / 2023، شوهد في: 6 / 2 / 2024

[21] سبق أن أصدر مركز الحوار السوري ورقة ناقشت عوامل صمود اتفاق وقف إطلاق النار، ينظر:

عام من الصمود ... كيف أتمّ اتفاق موسكو عامه الأول دون أن ينهار؟، مركز الحوار السوري، 12 / 3 / 2021

وتتعدّد الأساليب والغايات والوسائل التي تستند إليها "هتش" في محاولات التمدد التي تأتي استكمالاً لما قامت به في تشرين الأول أكتوبر 2022 حينما سيطرت بشكل مؤقتٍ على مدينة عفرين شمال حلب، وتمركزت على تخوم مدينة إعزاز في شمال حلب على الحدود التركية قبل أن تنسحب منها وتُبقي أذرعاً لها في المنطقة[22].

سعت "هتش" إلى زيادة مواردها المالية عن طريق الاستحواذ على عائدات معابر إستراتيجية في ريف حلب، وأهمها معبر الحمران في ريف جرابلس، الرابط مع مناطق سيطرة مليشيا "قوات سوريا الديمقراطية-قسد"[23]، لكنها تجنّبت صراع النفوذ على معبر الحمران تحت رايتها، لذلك استخدمت أذرعها في ريف حلب المتمثلة بفصيل "أحرار عولان"، وفصيل "تجمع الشهباء"[24].

ويبدو أن معبر الحمران كان تحت أنظار "هتش" منذ فترة طويلة لأنها طالما تعرّضت لانتقادات بسبب التفاوت في أسعار المحروقات بين مناطق سيطرتها ومناطق سيطرة الجيش الوطني السوري التي تُباع فيها بأسعارٍ أقل، وقيامها بتفتيش كمية المحروقات في السيارات التي تدخل إلى مناطق سيطرتها لمنع أصحابها من ملء الوقود من مناطق سيطرة الجيش الوطني السوري، فضلاً عن إقدامها على تفكيك عددٍ من الكازيات قرب منطقة الغزاوية بريف حلب لمنع الأهالي من ملء الوقود منها[25]، وبالتالي فإن سيطرتها على معبر الحمران تجعلها تتحكم إلى حدٍّ ما بأسعار الوقود في كافة مناطق ريف حلب وإدلب الخارجة عن سيطرة نظام الأسد.

شهد المعبر أكثر من محاولة للسيطرة عليه من قِبل "أحرار عولان" كان أبرزها في أيلول سبتمبر الماضي، الأمر الذي دفع وزارة الدفاع في الحكومة السورية المؤقتة إلى إطلاق عملية أمنية لدحر من وصفتها بـ"الجماعات الانفصالية"[26]، ومع ذلك لا يبدو أنه تمّ دحر الفصيل بشكل كلي من المعبر أو لم يعد له عائدات من وارداته، خصوصاً مع وجود حديث عن مفاوضاتٍ دارت تتضمّن انسحاب الفصيل مقابل حصول "هتش" على جزء من عائدات معبر الحمران، لا سيما مادة الفيول الخام، دون غيرها من العائدات الأخرى[27].

---

[22] هل تنسحب هيئة تحرير الشام من ريف حلب أم تبقى "في الظل" عبر الجهاز الأمني؟، سوريا على طول، 21 / 10 / 2022، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[23] يكسب المعبر أهمية اقتصادية لكونه يربط مع مناطق سيطرة مليشيا "قسد" التي يوجد لها أذرع تورد المحروقات إلى مناطق سيطرة الجيش الوطني السوري، ما يجعل الطرف المسيطر على المعبر يمسك بعائدات المحروقات.

[24] "تحرير الشام" تُسيطر بالوكالة على معبر "الحمران" شرق حلب، زمان الوصل، 21 / 9 / 2023، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[25] لخنق الأهالي وإلزامهم بأسعارها.. "تحرير الشام" تفكك محطات الوقود في الغزاوية بريف حلب، شبكة شام، 19 / 4 / 2023، شوهد في: 26 / 1 / 2024

[26] "هيئة تحرير الشام" تحاول السيطرة على المعابر في ريف حلب، العربي الجديد، 22 / 9 / 2023، شوهد في: 26 / 1 / 2024

[27] مصدر عسكري مُطّلع في الجيش الوطني السوري قال في مقابلة مع فريق الإعداد يوم 26 كانون الثاني/يناير 2024، إن المسيطر الفعلي على المعبر هم "أحرار منبج" (يتبعون احرار عولان) وبالتالي يتبعون للجولاني، مشيراً إلى أنه يوجد داخل المعبر مفرزة أمنية لهم مكوّنة من حوالي 10 أشخاص ملثمين، ويقودهم شخص يُلقّب "أبو المغيرة" الأمني وهو المدير الفعلي للمعبر، كما أكد أن هناك نسبة عير معلومة من واردات المعبر يأخذونها، وأن هناك مفرزة أخرى على باب المعبر أيضاً تتبع لـ"أحرار عولان".

وقد استغلّت "هتش" -في محاولات تمدُّدها وتعزيز هيمنتها الاقتصادية- الحالة الفصائلية والتفكُّك لدى مكوّنات الجيش الوطني السوري، حيث استطاعت كسب ولاء بعض الفصائل بناءً على خلافات وصِدامات لها مع فصائل أخرى، وهذا ما ساهم بعدم وجود موقف موحّد لفصائل الجيش الوطني السوري في مواجهة محاولات تمدُّد "هتش".

وبالتزامن مع ذلك، واصل الجولاني محاولات تسويق نفسه كضامنٍ ونموذجٍ أمني منظّم في مناطق الشمال السوري، مستنداً إلى انتشار السلاح وفوضى الصِّدامات في المنطقة، سواء بين فصائل الجيش الوطني السوري، أو بين العوائل المحلية.

وشكّلت حادثة مقتل ثلاثة مدنيين أكراد في مدينة جنديرس بريف عفرين على يد عناصر من الجيش الوطني السوري خلال الاحتفال بعيد "نوروز" في مارس آذار الماضي[28]، فرصة للجولاني، من أجل استثمار الحدث والظهور بمظهر الساعي لأخذ الحقوق وإنصاف المظلومين، إذ ظهر في تسجيل مصوّر مع أهالي الضحايا، قائلاً: "هذا آخر يوم تتعرضون فيه لاعتداء، أنتم بحمايتنا"، ومثل هذا فعل قياديون آخرون من "هتش" في لقاءاتهم مع ذوي الضحايا[29]، علماً أن الجيش الوطني السوري أصدر أحكاماً مُشدّدة بحق الفاعلين[30].

كما استثمر الجولاني حدثاً طارئاً في الشمال السوري للتغلغل فيه وإنشاء مراكز قوة غير مُعلنة تؤدي وظيفتها عند الحاجة، وذلك بعد اندلاع الصراع في شرق سوريا بين العشائر العربية ومليشيا "قوات سوريا الديمقراطية -قسد"، حين أرسل قوات وأسلحة منوّعة تحت غطاء "نُصرة" العشائر إلى ريف حلب الشمالي والشرقي، ما منح "هتش" فرصة لتمركز قوات تابعة لها في مناطق عديدة ضمن مقارّ فصائل موالية لها بأرياف الباب وجرابلس[31]، علماً أنه لم يكن لتلك القوات أي تأثير حقيقي على المعارك بين العشائر و"قسد" في ذلك الوقت[32]، لكن الحادثة كانت فرصةً للجولاني لإرسال قياديين وأمنيين يتبعون لـ"هتش" إلى مناطق الجيش الوطني السوري، وبالتالي إمكانية مشاركتهم في أي عمل عسكري أو أمني لصالح "هتش" أو الفصائل الموالية لها بالمنطقة.

[28] سوريا: مظاهرات غاضبة في عفرين بعد قتل «جيش الشرقية» 4 مدنيين أكراد في عيد النوروز، القدس العربي، 21 / 3 / 2023، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[29] تنافس فصائلي لتثبيت النفوذ وتقديم أوراق اعتماد في جنديرس، عنب بلدي، 26 / 3 / 2023، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[30] بعد نحو عام من الجريمة.. الإعدام لقتلة أربعة من عائلة بشمرك الكردية في جنديرس، تلفزيون سوريا، 17 / 1 / 2024، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[31] تحت غطاء العشائر .. هدفان وراء إرسال "تحرير الشام" تعزيزات إلى شمالي حلب، تلفزيون سوريا، 6 / 9 / 2023، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[32] يُذكر أن مركز الحوار السوري أصدر تقريراً تطرّق حينها لموضوع الاشتباكات بين العشائر العربية و"قسد" وردود الفعل المحلية، يُنظر: عامر العبد الله وكندة حواصلي، أسباب ومآلات المعارك بين العشائر العربية و"قسد" في دير الزور، مركز الحوار السوري، 5 / 9 / 2023

ويظهر من خلال رصد سلوك الجولاني الأخير خلال العام الماضي أنه يطمح بوجود عسكري وأمني دائم في مناطق الجيش الوطني السوري بهدف التأسيس لمناطق سيطرة جديدة تضمن له نفوذاً فيما لو تم إخراج "هتش" من مناطق إدلب وريفها عند شن نظام الأسد وحلفائه أي عملية عسكرية مستقبلاً[33].

ورغم هذه العوامل والمبررات التي تقوّي رغبة "هتش" في التمدُّد نحو الشمال، إلا أنه ثمة عوائق تمنع أو تُصعّب هذا السيناريو؛ أبرزها:

أ- الموقف الدولي الرافض لشرعية "هتش" حتى الآن، ومواصلة تصنيفها كـ"تنظيم إرهابي"، على الرغم من الكثير من التنازلات التي قدّمها الجولاني وتلوّنه بألون متعددة[34]، وسعيه لذلك من خلال استضافة صحفيين أجانب وإجراء مقابلات معهم[35].

ب- الموقف التركي الرافض فيما يبدو لسيطرة ظاهرة لـ "هتش" في مناطق نفوذ الجيش التركي، وقد ظهر ذلك بسياقات مختلفة منها تدخل القوات التركية لإخراج "هتش" من عفرين ومنع تقدمها نحو أعزاز[36].

ج- الرفض الشعبي الكبير لوجود "هتش" في مناطق نفوذ الجيش الوطني السوري، وقد تمثل ذلك بخروج مظاهرات عديدة ترفض توغل "هتش" بالمنطقة[37].

---

[33] رغم الثبات الظاهري في خرائط السيطرة بمحافظة إدلب منذ نحو ثلاثة أعوام، إلا أن حملات القصف المتكررة من قبل نظام الأسد وروسيا تشير إلى إمكانية تنفيذ حملات عسكرية في المستقبل، ما يعني السيطرة بضغط ناري على مزيد من المناطق. وإزاء هذه التخوفات فإن الجولاني يطمح بالحصول على مناطق نفوذ جديدة في الشمال السوري تكون بديلاً عن المناطق التي قد يفقدها لاحقاً.

[34] سبق أن نشر مركز الحوار السوري مقالاً تحليلياً بحث التحولات الكبرى التي مر بها الجولاني سواء على المستوى الشخصي أو الجماعات والمواقف، ينظر:

المقال التحليلي "الجولاني، من رحم "داعش" إلى "قائد ثوري شعبي"؟"، مركز الحوار السوري، 12 / 8 / 2020

[35] لقاء الجولاني بإعلاميين غربيين.. الأهداف والدلالات، مركز جسور، 8 / 2 / 2021، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[36] سورية: "تحرير الشام" تنسحب من منطقة عفرين إلى إدلب بعد تدخل تركي، العربي الجديد، 15 / 9 / 2023، شوهد في: 28 / 1 / 2024

[37] مدن الشمال السوري تجدد مظاهراتها ضد "هيئة تحرير الشام" إفيديو+صور، تلفزيون سوريا، 21 / 10 / 2022، شوهد في: 28 / 1 / 2024

انشقاقات تضرب "هتش" واعتقالات غير مسبوقة في صفوفها بتهمة "العمالة":

شكّل ملفّ الانشقاقات في صفوف "هتش" وحملة الاعتقالات التي شنّتها ضد قياديين تابعين لها بتهمة "العمالة" أحد التطورات اللافتة في بُنية التنظيم خلال العام 2023. إذ أعلن القيادي في "هتش"، جهاد عيسى الشيخ، الملقّب "أبو أحمد زكور" في منتصف كانون الثاني الماضي، انشقاقه عنها عبر بيانٍ رسميّ بعد تمكُّنه من الهروب إلى أعزاز، مشيراً إلى أن قيادة "هتش" بدأت تدريجيّاً بتغيير سياستها عن طريق السيطرة والهيمنة وقضم الفصائل وتفكيكها، والسعي إلى السيطرة العسكرية والأمنية والاقتصادية في مناطق الجيش الوطني السوري، والعمل الأمني من خطف وغيره دون التنسيق مع أي جهة ودون علمه الشخصي، بالإضافة لتوجيه "التهم المعلّبة" والجاهزة لكل مخالف لنهج قيادة "هتش" وتشويه صورته، سواء كان من داخلها أو خارجها[38].

وشكّل انشقاق "أبو زكور" ضربة لـ"هتش" لكونه من قيادات الصف الأول فيها، ويُعدّ بمثابة "الصندوق الأسود" للتنظيم لما يحويه من معلومات وتفاصيل كثيرة عنه بحكم ملازمته للجولاني[39]، ولكون انشقاقه جاء وسط أزمة تعيشها "هتش"، فانشقاقه عنها جاء بعد وقتٍ قصيرٍ من اعتقال "هتش" للقيادي في صفوفها "أبو ماريا القحطاني" بتهمة التعامل مع التحالف الدولي، إضافة لتكثيف "هتش" حملات الاعتقال في مناسبات عديدة من العام الماضي ضدَّ عناصر وقياديين يعملون في صفوفها بتهمة "التخابر" مع التحالف الدولي وروسيا ونظام الأسد ومليشيا "حزب الله" اللبناني[40].

وطالت عمليات الاعتقال قياديين آخرين غير أبو ماريا، مثل "أمير هتش" في مدينة تفتناز أبو اليمان تفتناز، وأبو صبحي تل حديا المنضوي في "لواء علي بن أبي طالب"، وأبو خالد مسؤول "الكتلة الشرقية"، ومسؤول "الدراسات الأمنية" عن منطقتي سرمدا والوسطى، ومسؤول الموارد البشرية في الجناح العسكري وآخرين[41]، بينما تم الإفراج عن بعض المعتقلين بعد أشهر من الاعتقال وإعلان "هتش" أنها انتهت من التحقيقات الخاصة بما وصفتها "دعوى الخلية الأمنية"[42]، وسط تشكيك براوية "هتش" الرئيسية عن سبب الاعتقال وغياب الشفافية إزاء هذا الملف[43].

وعلى ضوء ذلك، يُرجَّح استمرار الانشقاقات في صفوف "هتش" لسببين؛ الأول: أن الشخصيات التي انسحبت منها قد يكون لها نفوذ وموالون داخل "هتش" ربما يكونون محلّ استهداف من قبل قيادة التنظيم، والثاني: بسبب التحريض من

[38] عبر بيان رسمي.. "أبو أحمد زكور" يعلن انشقاقه عن تحرير الشام، حلب اليوم، 15 / 12 / 2023، شوهد في: 12 / 1 / 2024

[39] حاولت "هتش" اعتقال أبو زكور لكنّها فشلت بذلك وسط حديث بين عدة وسائل إعلامية محلية عن تدخّل تركي منع عملية اعتقاله، يُنظر: "الاستخبارات التركية" تعترض رتلاً لـ"تحرير الشام" وتقتاد القيادي "زكور" بعد اعتقاله شمال حلب، شبكة شام، 19 / 12 / 2023، شوهد في: 12 / 1 / 2024

[40] "تحرير الشام" تؤكّد ما كشفه تلفزيون سوريا عن حملة ضد "عملاء" داخل الهيئة، تلفزيون سوريا، 16 / 7 / 2023، شوهد في: 22 / 1 / 2024

[41] خاص: حملة اعتقال عملاء الـ CIA وروسيا داخل هيئة تحرير الشام تتوسع لتشمل قياديين، تلفزيون سوريا، 9 / 7 / 2023، شوهد في: 4 / 2 / 2024

[42] ربطتهم بـ"غرفة عمليات دولية".. تحرير الشام تفرج عن قادة فيها اتهمتهم بالعمالة، تلفزيون سوريا، 28 / 1 / 2024، شوهد في: 4 / 2 / 2024

[43] تقرير | قضية العملاء في إدلب.. لماذا أظهر الجولاني كفه الأبيض؟، حلب اليوم، 2 / 2 / 2024، شوهد في: 5 / 2 / 2024

قبل الشخصيات التي انسحبت وأعلنت انشقاقها، كما إن بُنية هذه التنظيمات القائمة على التقيّة والمجاهيل تجعل إمكانية اختراقها كبيرة[44].

كذلك من المتوقّع استمرار سلوك "هتش" في القمع ومحاولة التغطية على هذه الانشقاقات بأنها هامشيّة وغير مؤثرة وأنه من الطبيعي حدوثها كما تحدّث الجولاني ذاته عنها، الأمر الذي يُشبه إلى حدٍّ ما سلوك أيّ نظامٍ أمني عندما تحدث فيه انشقاقات يعتبرها "حالة صحية" وأن الشخص المنشق هو سيئ وهذا "تنظيف ذاتي" للتنظيم[45].

ويبدو أن تلك الانشقاقات قد يكون لها أثر سلبي إلى حدّ ما في محاولات "هتش" التمدُّد نحو مناطق ريف حلب الخاضعة للجيش الوطني السوري، إذ يعتبر بعض المراقبين أنه وبعد فشل "هتش" باعتقال أبو أحمد زكور ضَعُفت وتيرة العمل الأمني للجولاني في مناطق ريف حلب الشمالي والشرقي، حيث كانت تعمل الخلايا التابعة لـ"هتش" بصورة واضحة، أما الآن فتعمل بشكل أمنّي متستّر نوعاً ما[46].

خاتمة:

لم تقتصر حالة الاحتقان الشعبي ضد الجولاني في 2023 على المظاهرات فقط، ولا سيّما أمام القبضة الأمنية ومواجهة الحراك المُعارض لـ"هتش"، إنما امتدّت لتشمل نشاطاتٍ تُذكّر بنشاطات المعارضين لنظام الأسد منذ أوائل الثورة الشعبية، وهي الكتابة على الجدران، واستهداف شخص الجولاني نفسه واتهامه بـ "العمالة"، ولعل الأمر الذي ساهم في ظهور مثل هذه النشاطات هو الخشية من القمع والاعتقالات والتغييب القسري الذي لم تُظهِر "هتش" أنها تراجعت عنه حتى مع الذين عملوا معها خلال السنوات الماضية.

ويبدو أن سلوك "هتش" الأمني والتضييق على الحُريّات سيستمر لأسباب متعددة؛ أبرزها أن التنظيم بنى سرديته على الأمن والضبط الأمني لتبرير ما يقوم به من انتهاكات وتضييق بحق السكان، الأمر الذي يعتمد عليه الجولاني لإسكات الأصوات المنتقدة له، في حين يبدو الوضع الاقتصادي بمناطق "هتش" آخذاً بالتدهور لأسباب موضوعية محلية ودولية أهمها ضعف الاستقرار الأمني وضعف البنية التحتية وشحّ الموارد الاقتصادية وسيطرة "هتش" على أهم المشاريع الموجودة في إدلب وريف حلب الغربي، وعدم إيلائها أهمية كبيرة لتحسين الواقع المعيشي أو خلق فرص عمل من خلال بعض الموارد التي تسيطر عليها مثل المحروقات والمعابر.

---

[44] عامر العبد الله ومحمد سالم، حملة الاعتقالات الداخلية في صفوف "هتش" وأثرها في مستقبل التنظيم، مركز الحوار السوري، 19 / 7 / 2023

[45] على سبيل المثال اعتبر رأس النظام بشار الأسد في بدايات الثورة أن عمليات الانشقاق التي تحصل داخل نظامه هي عملية "تنظيف ذاتية للدولة"، يُنظر:
الأسد يصف الانشقاقات في نظامه بـ"عملية تنظيف ذاتية" للدولة والوطن، فرانس برس، 29 / 8 / 2012، شوهد في: 21 / 1 / 2024

[46] من مقابلة فريق الإعداد مع مصدر عسكري مُطّلع في الجيش الوطني السوري رفض ذكر اسمه، ويضيف أن إدارة الشرطة العسكرية بالجيش الوطني السوري تعمل على إنشاء قوة على معبر الغزاوية الفاصل بين مناطق الطرفين؛ مهمتها صدّ أي تحرّك لـ"هتش" باتجاه المنطقة.

من جانبٍ آخر، شكّل اعتقال القيادي في "هتش"، "أبو ماريا القحطاني" تفجّراً لخلاف عميق وقديم داخل التنظيم، ورغم إلصاق "هتش" تهمة التنسيق مع التحالف الدولي للقحطاني إلا أن السبب قد يعود إلى معلومات وصلت للجولاني بأن القحطاني يُحضِّر للانقلاب عليه، لأن مسألة التنسيق مع التحالف تجري بعلم الجولاني نفسه، كما قد يكون الجولاني خشي من تعاظم دور القحطاني لا سيما أنه الرجل الثاني في "هتش".

مع ذلك قد يكون اعتقال القحطاني محاولة من الجولاني لإبعاد العناصر غير السورية من صفوف "هتش"، تمهيداً لإمكانية الاعتراف بهيئة سياسية ناتجة عنها لا تحوي أياً من الوجوه القديمة في التنظيم، لاسيما أن الجولاني عمل في السنوات الماضية على تسويق تنظيمه كتنظيم منتمٍ للثورة السورية، وباتت الخطابات الإعلامية للتنظيم تتبنّى أدبيات الثورة وتتجنّب المفردات "الجهادية".

وفي الوقت الذي يُظهِر فيه الجولاني الالتزام بوقف إطلاق النار شمال غربي سوريا وعدم نيّته التوسع باتجاه مناطق نظام الأسد يبدو أنه يسير بصورةٍ مغايرة لذلك تماماً فيما يخص مناطق سيطرة الجيش الوطني السوري، إذ عمل على استغلال عدة أحداث مرّت بها المنطقة في العام الماضي مثل قضية مقتل مدنيين أكراد في جنديرس وصراع العشائر العربية مع "قسد" من أجل إرسال قوات وعناصر أمنيّين وزرعهم بشكل دائم في المنطقة إلى جانب بعض الفصائل الموالية لـ"هتش" التي تمكّن من توظيفها وفق ما يخدم مصالحه الأمنية والاقتصادية مستغلّاً حالات الصدام فيما بينها، ولا يُستبعد أن ينقلب عليها أو يُفكّكها فيما لو تمكّن منها أو انتهت مصلحته معها كما فعل مع العديد من الفصائل التي تحالفت معه في السنوات الماضية، لكن مع ذلك لا يبدو أن محاولات الجولاني بتحقيق وجود علني أو كبير في مناطق ريف حلب ستتحقق في ظل عوامل متعددة يصطدم بها من أبرزها رفض الجانب التركي المشرف على المنطقة تمدُّد "هتش" خصوصاً مع استمرار تصنيفها تنظيماً إرهابياً، وتذرُّع روسيا بها لمهاجمة مناطق إدلب وريفها، الأمر الذي قد يدفع الجولاني إلى التفكير بنموذج سيطرة مختلف في شمال وشرق حلب يختلف عن نموذج سيطرته المباشرة في إدلب، وذلك من خلال تقوية الفصائل المتحالف معها ودعمها ومدّ نفوذها للقضاء على المناهضين له، مع بقاء الجولاني يُحرّك هذه الفصائل من الخلف، ومع إبقاء نموذج الإدارة التركي غير المباشر على حاله.